مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 644 - 660

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

خصائص وسمات الرأسمال الثقافي واللغوي للقائد التربوي (قراءة مفاهيمية تأصيلية لبيار بورديو)

Characteristics and features of the cultural and linguistic capital of the educational leader (An original conceptual reading of Pierre Bourdieu)

معاشو عباسية

جامعة سيدي بلعباس (الجزائر)، مخبر الدراسات والبحوث الاجتماعية في الجزائر،
abb.maachou.sba@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-01-05 **تاريخ القبول:** 2023-04-28 **تاريخ النشر:** 2023-05-05

ملخص:

إن الانتقال من قيادة مدرسة تقليدية إلى قيادة مؤسسة مدرسية، يتوقف على نوعية القائد التربوي، ومقدار الرساميل التي يمتلكها، ولمحاولة فهم ورصد أهم المفاهيم المرتبطة بالرأسمال كالرأسمال الثقافي واللغوي فمن الضروري الوقوف على الجهاز المفاهيمي التأصيلي الذي كان محور دراسات بيار بورديو، والتي شكلت تنظيرا مهما ومتميزا عن الاتجاهات التقليدية في علم الاجتماع.

وعليه حاولنا من خلال هذه الدراسة تقديم قراءة مفاهيمية تحليلية لبعض السمات الثقافية واللغوية والتي يمكن من خلالها فهم البنية التكوينية للقائد وإدراك كيفية تفاعلها مع شخصية المدير (القائد) والتي تمكنه من القيام بمهامه ومسؤولياته وممارسته اليومية في المدرسة، وبذلك يحقق سلطة رمزية.

كلمات مفتاحية: السمات؛ الرأسمال الثقافي؛ الرأسمال اللغوي؛ القائد التربوي.

Abstract:

The transition from the leadership of a traditional school to the leadership of a school institution depends on the quality of the educational leader, and the amount of capital he possesses, and to try to understand and monitor the most important concepts related to capital, such as cultural and linguistic capital, it is necessary to stand on the original conceptual apparatus that was the focus of Pierre Bourdieu studies, which formed an important and distinct theorizing from the traditional trends in sociology.

Accordingly, we tried through this study to provide an analytical conceptual reading of some cultural and linguistic features through which it is possible to understand the formative structure of the leader and realize how it interacts with the personality of the principal (the leader), which enables him to carry out his tasks and responsibilities and his daily practice in the school, and thus achieve symbolic authority.

Characteristics; cultural capital; linguistic capital; educational leader. **keywords:**

مقدمة:

يعد مفهوم الرأسمال من المفاهيم الرئيسية عند علماء الاجتماع وخاصة مع استخدامه في السوسيولوجيا المعاصرة في فكر بورديو، فهذا المفهوم لم يتعامل معه من خلال معناه التقليدي الاقتصادي فحسب، ولكن نظر إلى هذا المفهوم من خلال أنّه مورد في شكله المادي أو شكله المنتج، فهذا المورد عندما يُمنح للفرد الفاعل يُمكنه من امتلاك قوّة اجتماعية بصورتها المادية أو الاجتماعية، فبورديو لم يقتصر على المفهوم الكلاسيكي للرأسمال بل قدّم في دراساته أنواع من الرساميل غير مادية كالرأسمال الثقافي، والرأسمال الاجتماعي والرأسمال اللغوي، فهو يرى أن كل سمة أو خاصية يمتلكها الفرد أو تعلمها أو ورثها يمارسها في حياته اليومية تمثل رأسمال يعيش به الفرد، فإذا امتلك الفرد علاقات اجتماعية فاعلة فيكون لديه رأسمال اجتماعي، وإذا كان يتمتع بمعرفة قواعد السلوك وآدابه ولديه شهادات دراسية رسمية فيكون لديه رأسمال ثقافي، وإذا كان يمتلك مستوى لغوي ومتحدثا جيدّا فيكون لديه رأسمال لغوي، إنّ التفكير العلائقي للجهاز المفاهيمي لبورديو يشمل مواقع محددة يحتلها الفاعلون، فتخضع تراتبية هذه المواقع إلى كيفية توزيع رأس المال خاصة في الحقل التعليمي، ممّا يتطلب الاهتمام بالقيادة التربوية التي تعتبر المرتكز الأساسي الذي يعتمد عليه تطور المؤسسة التربوية، وللقيادة دور اجتماعي رئيسي يقوم به الفرد القائد أثناء تفاعله مع غيره، يتعامل مع أفراد مختلفي الثقافات والاتجاهات، وهذا ما يتطلب أن تتوفر فيه بعض السمات الثقافية واللغوية وإدراك كيفية تفاعلها مع شخصية المدير (القائد) والتي تساعده على أداء دوره القيادي داخل المدرسة.

وعلى هذا الأساس حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نرصد بعض الملامح أو السمات الثقافية واللغوية للقائد التربوي مع عرض أهم المفاهيم المرتبطة بالرأسمال عند بيار بورديو وبالتالي سوف نجيب عن التساؤلات التالية:

- ما الدلالات السوسيولوجية لمفهوم الرأسمال الثقافي والرأسمال اللغوي؟
- وهل تتجلى وظائف هذه المفاهيم في تحديد البنية التكوينية للقائد التربوي؟

1. الإطار المفاهيمي التأصيلي للرأسمال الثقافي:

1.1. مفهوم الرأسمال(Capital):

تمّ استخدام كلمة رأس المال لتشير إلى المال أو الاستثمار في المال، ويكاد هناك اتفاق عام بين العلماء على مختلف تخصصاتهم على أن رأس المال الاقتصادي هو أكثر أشكال رأس المال كفاءة، وهو يشير إلى الدخل المادي، أو هو الشكل الذي يمكن تحويله إلى أي شكل آخر من أشكال رأس المال بسهولة، وكما يُمكن نقله من جيل إلى آخر.

يشير "جورج ريتزر" George Ritzer في موسوعة النظرية الاجتماعية إلى أن تبني العلوم الاقتصادية والاجتماعية لمصطلح "رأس المال" قد جاء في البداية من لغة التُجار، وكانت تعني المواشي والدواب المعدودة بالرأس، لأنه في ذلك الوقت المبكر كانت الدواب والمواشي هي السلعة التي يتم بواسطتها تقدير وتقييم كل السلع الأخرى، أو ما يطلق عليه العلماء رأسمال اقتصادي Economic capital (George Ritzer, 2005, p 75).

فمفهوم رأس المال شهد تطورا من الجهاز البورديـاوي الذي انتقد النظرة الماركسية للرأسمال التي حصرته في الجانب المادي وأكدت على التباين الطبقي شيء أساسي في المجتمعات الرأسمالية والمجتمع ما هو إلّا صراع بين الطبقات مع العلم أن المجتمع تنافس فيه مجموعة من الرساميل، وعمل بورديو على تعديل التوجه النظري المرتبط برأس المال ونقله من توجه قائم على الطبقة أي: (يتم استثمار رأس المال وتراكمه بواسطة الطبقة البورجوازية) إلى رؤية مبنية على الفاعل الفرد (حيث إن الفاعلين سواء كانوا أفراد أو مجتمعات يستثمرون ويراكمون مثل هذه الموارد). (Nanlin, 2000, p.p.785- 786)

2.1. مفهوم الثقافة (Culture):

يعتبر مفهوم الثقافة من بين أكثر المفاهيم تعقيدا ليس في علم الاجتماع فحسب بل في سائر العلوم الاجتماعية كالأنثروبولوجيا الثقافية، حيث قدم عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزي تايلور Taylor بأن الثقافة: "هي حصيلة الكل المركب من المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاقيات والقانون والعادات، وجميع القدرات التي اكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"، في حين عرفها "رالف لينتون" Ralph Linton الذي لم يبتعد فيه الكثير عن تعريف تايلور بقوله أنها: "حاصل مجموع

المعرفة والاتجاهات وأنماط السلوك المشترك بين أعضاء مجتمع معين". (إبراهيم عثمان، 1999، ص.156)

وحسب أنتوني غدنز Anthony Giddens فإن الثقافة في نظر علماء الاجتماع تعني جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل، وتمثل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مضمرة غير عيانية: مثل المعتقدات والقيم التي تكون المضمون الجوهري للثقافة ومن جوانب عيانية ملموسة مثل الأشياء والرموز التي تجسد هذا المضمون (أنثوني، 2005، ص. 82)

أما التعريفات السوسيولوجية للثقافة فتركز على البعد الاجتماعي، فالثقافة هي مجموعة من المعتقدات والأعراف وطريقة عيش الناس لجماعات معينة، ومن أكثر التعريفات السوسيولوجية إثارة للجدل تعريف "كارل ماركس"Karl Marx : "أن الثقافة هي كل القيم المادية والروحية ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها في المجتمع من خلال سير التاريخ ويقصد من ذلك أن الثقافة ظاهرة تاريخية يحدد تطورها بتتابع النظم. (محمد يسرى، 1997، ص. 60)

وهناك تعريف مهم لمنظمة اليونسكو، ترى أنه ينبغي أن ينظر إلى الثقافة على أنها مجموعة من السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية المجتمع أو جماعة اجتماعية، وتضم إضافة إلى ذلك الفنون والآداب وأنماط الحياة، وطرق العيش المشترك ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. (Saraceno, 2014, p.p.13- 14)

3.1. مفهوم الرأسمال الثقافي (capitale culturelle):

من بين أهم المساهمات العلمية التي جلبت مفهوم "الرأسمال الثقافي" إلى ضوء أطروحة "بيير بورديو" Pierre Bourdieu والتي كانت بعد تطبيقات أجراها على ارض الميدان إذ حاول تحليل فكرة الثقافة الجمالية ذات المركز الاجتماعي الرفيع وإدراكه لعناصرها مثل: الثقافة الأدبية، الفنون الرفيعة، الكفاءة اللغوية...

ويعبر بورديو أن مفهوم رأس المال الثقافي يتشكل من خلال الإلمام والاعتياد على الثقافة السائدة في المجتمع، وخاصة القدرة على فهم واستخدام لغة راقية، ويؤكد أن امتلاك رأس المال

الثقافي يختلف باختلاف الطبقات، ولهذا فإن النظام التعليمي يدعم امتلاك هذا النمط من رأس المال، وهذا يجعل من الصعوبة بمكان على معظم أفراد الطبقة الدنيا النجاح في هذا النظام (Sullivan, 2000, p.893)

ويرى بورديو أن الرأسمال الثقافي يوجد في ثلاثة أشكال فصلها سوارتز Swartz بشكل أكثر تحديدا في الرأسمال الثقافي المتجسد في مجموعات من التصرفات المزروعة التي يتم استيعابها من قبل الفرد من خلال التنشئة الإجتماعية، التي تشكل أنظمة التقدير والفهم، والرأس المال الثقافي الموضوعي ويتمثل في الأشياء المادية، مثل: اللوحات الفنية، زيارة المتاحف، أما الرأسمال الثقافي المؤسسي ويتمثل في النسق التعليمي، والمقاييس الأكاديمية، وله مؤسساته الخاصة، مثل النظم التعليمية والجمعيات والدوريات. (سوراتر، 2014،.ص.ص. 114 - 115)

يرتبط مفهوم رأس المال بثقافة الطبقة المسيطرة لذا يكتسب نوعا من الشرعية، إذ يرى كل من بورديو وباسرون Bourdieu et Passeron أن الرأس المال الثقافي يمرر بواسطة المدرسة والأسرة، ويفسر مفهوم رأسمال الثقافي انتقال عدم التكافؤ، ويعرف باعتباره السمات الثقافية للأفراد والجماعات التي تعد عوامل مهمة في تحديد المكانة ووضع الطبقة (Alan, Peter, Susann, 2006, p.125)

وبدلا من تعريف رأسمال الثقافي على أنه قدوة الجماعة المهيمنة لغرض معايير مفيدة للتقييم أيّا كان شكلها لتكون أكثر جدوى في اكتشاف تلاقي المعايير التقييمية التأسيسية للمدرسة والممارسات التربوية المرتبطة بالطبقات الإجتماعية المختلفة، ثم إجراء عدد من الدراسات الحديثة التي توظف رؤية بورديو للثقافة باعتبارها شكلا من رأس المال. (Swartz, zolbery, 2005, p.7)

فعموما يعبر مفهوم رأسمال الثقافي عن مجموعة من الرموز والمهارات والقدرات الثقافية واللغوية والمعاني التي تمثل الثقافة السائدة، والتي اختيرت لكونها جديرة بإعادة إنتاجها واستمرارها ونقلها خلال العملية التربوية، ويركز هذا المفهوم على أشكال المعرفة الثقافية والاستعدادات التي تعبر عن رموز داخلية مدمجة تعمل على إعداد الفرد للتفاعل بإيجابية مع مواقف التنافس وتفسير العلاقات والأحداث الثقافية. (أفراح جاسم، وسعد محمد علي حميد، 2014، ص.431).

4.1. المفاهيم المرتبطة بالرأسمال الثقافي:

قدم بورديو في دراسته لرأس المال الثقافي نوعين هما الرأس المال الموروث من الأسرة والثاني رأس المال الثقافي المكتسب من المدرسة والجامعة فالسؤال المطروح فيما تتجسد ملامح أو سمات الرأس المال الموروث والمكتسب؟

1.4.1. مفهوم رأس المال الثقافي الموروث:

يتمثل الرأس المال الثقافي الموروث من خلال منح العائلات لأبنائها مجموعة من أنماط الحياة المميزة، وشبكة قوية من العلاقات الإجتماعية وهو يمثل اتجاه العائلات نحو صياغة سلوك أفرادها، وتزويدهم بمصفوفة خاصة من القيم العالية والمميزة في نمط الحياة وفي تذوق الفنون يتوارثونها عبر الأجيال، إذ يتم من خلال بعض الممارسات مثل نمط التعامل الراقي والتأهيل العلمي والأخلاقي. (Philipp, 2008, p.189)

يرى بورديو أن الأسرة تعمل على تزويد أبنائها بمجموعة من المهارات وأساليب الحياة التي تحقق لهم التمايز في الفضاء الاجتماعي، إذ أن أسر الطبقة الثرية حولت رأس مالها الاقتصادي إلى رأسمال ثقافي من خلال تنشئة أبنائهم على الثقافة المتميزة مثل تعويدهم على الحوارات الاسرية، ودعمهم بالدروس المنزلية، وزيارة المتاحف، وبعد تشربهم لهذه الثقافة المتميزة يصبح لديهم "رأس المال الثقافي الموروث" فهو يرى أنه رأس مال مرتبط برؤية الأسرة لمشاريع الحياة وحسن تقييمها، وستكون معهم مدى الحياة أينما كانوا. (Ritzer, 2005, p.167)

وبالتالي يؤكد بورديو على دور الأسرة بأهمية تزويد أفرادها بالثقافة العامة، ويرى أنه كلما كان رأس المال الثقافي للعائلات أكثر أهمية كان وزنه النسبي أكبر من الرأس المال الاقتصادي، استثمرت في التعليم المدرسي، ومن ثم فالرأس المال الثقافي الموروث يتكون من مجموعة الرموز والمهارات الثقافية واللغوية التي تمثل الثقافة السائدة والتي يمكن إعادة إنتاجها واستمرارها ونقلها من خلال العملية التربوية (Bourdieu, 2005, p.28) وبالتالي تمثلان الأسرة وممارستها يتيح لأفرادها تخزين معايير أنماط السلوك من خلال سنوات التنشئة الإجتماعية.

2.4.1. مفهوم رأس المال الثقافي المكتسب:

يقوم رأس المال الثقافي المكتسب على أساس المؤهل العلمي، وعدد سنوات الدراسة، إذ يتطلب من الفرد عملية طويلة ومعقدة من الدراسة واكتساب مهارات المعرفة، ويعد المؤهل التعليمي، وعدد سنوات الدراسة هما مكون رأس المال الثقافي المكتسب، فمثلا المدير يدخل إلى المؤسسة التربوية يحمل رأس المال الثقافي موروث من أسرته، ثم يتحول إلى رأس المال ثقافي مكتسب المتمثل في مؤهلاته العلمية، وشهادات، ودرجاته العلمية من خلال مساره العلمي.

ويستخدم بورديو أن الاختيار التعليمي يحدث في الحقيقة عبر الاختيار الذاتي المتمركز على الطبقة، لأن ذلك يعتمد على توقعاتهم العملية، وترجيحهم بأن الناس الذين من طبقتهم الإجتماعية العليا، سوف ينجحون أكاديميا، ويؤمن بورديو بوجود ارتباط قوي بين الآمال الذاتية والفرص الموضوعية، فشباب الطبقة العاملة لا يطمحون إلى مستويات العليا من التحصيل التعليمي لأنهم قد روضوا أنفسهم على الفرص المحدودة للنجاح المدرسي، وهذه الفكرة تسود بين الذين لديهم رأس مال ثقافي منخفض، وهذا بعكس شباب الطبقة العليا الذين استدمجوا منافعهم وفوائدهم الإجتماعية باعتبارها توقعات للنجاح الأكاديمي. (سواركز، 2014،.ص.ص.261، 262)

وبالنسبة للرأسمال الثقافي المكتسب فيتوقف إكسابه على بعض العوامل: مثل الفترة الزمنية، طبيعة المجتمع، والطبقة الإجتماعية التي ينتمي إليه الفرد، بالإضافة إلى القدرات الذاتية والسمات الجسدية للفرد، فالقائد التربوي مثلا يعبر عن رأسماله من خلال الشهادات وعدد سنوات الدراسة والمعدل التراكمي للدراسة، وسمعة التخصص والتي تعبر عن ممارساته وتمثلاته للحقل التعليمي.

ويتضح مما سبق أن الرأسمال الثقافي يتشكل من مجموعة الخبرات الرمزية التي تشير إلى الإنجازات المادية (التراث الثقافي المتكون من مختلف المنجزات الثقافية، اللوحات، الكتب، لغة راقية ويمكن أن تتجسد في صورة اجتماعية مؤسساتية وفي شكل ألقاب، ودبلومات أو شهادات أي تمنحه لقبا اجتماعيا يحقق للفرد مكانة محترمة.

2. الإطار المفاهيمي التأصيلي للرأسمال اللغوي:

1.2. مفهوم اللّغة:

لقد تعددت التعاريف التي تناولت هذا النظام الرمزي المعقد من مدرسة لأخرى ومن علم لآخر ومن بين هذه التعاريف نجد تعريف قاموس علم الاجتماع لعاطف غيث: "أن اللغة جزء من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت، وأنها نتاج اجتماعي تمثل التجارب المتراكمة والراهنة والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي والتفكير ومعرفة الذات ومعرفة الآخرين وهي بذلك ضرورية للوجود الاجتماعية." (محمد عاطف غيث، 1979، ص.266)

كما يعرفها فاردينان دوسوسور Ferdinand de Saussure، أن نتكلم لغة ما هو ليس فقط أن نعبّر عن أفكارنا الخاصة والأصلية، وإنما هو أيضا تشغيل طيف واسع من المعاني التي تتجسد في لغتنا وأنظمتنا الثقافية. (ستوارت هول، 2008، ص.150)

1.1.2. الطرح اللغوي لابن خلدون:

إنّ اللغة من الأسس الهامة في تنظيم الحياة الاجتماعية للأفراد، فهي مقياس حضاري، به يعرف مدى ما وصلت إليه الأمة من تطور وارتقاء فاللغة تعبير عن الواقع الحضاري وطبقاته الاجتماعية. فهي الوسيلة الأساسية التي تعتمد عليها في التربية، والتعليم، والتثقيف والاطلاع وهي الوسيلة إلى تكييف سلوك الفرد وضبطه وتوجيهه حتى يتناسب وأعراف المجتمع وتقاليده، فاللغة إذا وعاء الثقافة، يكتسبها الفرد من خلال الترعرع في البيئة الاجتماعية الأسرية بشكل متدرج غير مقصود، فتبدو وكأنها فطرة فقضية اكتساب اللغة من منطلق أنها ملكة طبيعية يكتسبها الفرد تناولها "ابن خلدون" حيث يرى من منظوره أن الملكة اللغوية سمة راسخة مكتسبة.

2.1.2. الطرح اللغوي لبيار بورديو (P. Bourdieu):

يتميز طرحه بتقديم منظور اجتماعي للغة وبتقديم مفاهيم مرتبطة بها كالسوق اللغوية والرأسمال اللغوي، وفي نظره أن اللغة مرتبطة بالسلطة فيقول: لكي يعمل خطاب التدريس المعتاد، المنطوق به والمتلقي باعتباره طبيعي ينبغي وجود صلة السلطة، أي علاقة بين مرسل قد خول

سلطة وبين مستقبل مستعد لتلقي ما يقال، يفترض الاتصال في مواقف السلطة التربوية مرسلين شرعيين ومستقبلين شرعيين وموقف شرعيا، ولغة شرعية. (Bourdieu, 2001, p.328)

2.2. مفهوم الرأسمال اللغوي (capitale linguistique):

إنّ رأس المال اللغوي هو لسلطة على آليات تكوين الأثمان اللغوية، سلطة تجعل قوانين تكوين الأثمان اقتطاع فائض القيمة النوعية (القيمة الزائدة) تعمل من أجل ربح، إن كل فعل من أفعال تبادل التأثير (التفاعل)، كل اتصال لغوي حتى بين شخصين، بين زميلين، أي كل التفاعلات اللغوية هي أنواع من الأسواق الصغرى التي تظل دائما خاضعة لسيطرة البنى الكلية، وعلى سبيل المثال فالصراعات بين الناطقين بالفرنسية والناطقين بالعربية تلاحظ في عدد من البلاد العربية والتي احتلتها فرنسا بعد اقتصادي، بمعنى أنه من خلال الدفاع عن سوق لمنتجات لغوية مخصوصة بدافع حائز وقدرة معينة عن قيمتهم الخاصة كمنتجين لغويين، وعلى هذا النحو فإن الذين يريدون الدفاع عن قيمتهم بوصفهم حائزي سوق للغة اللاتينية مضطرون للدفاع عن وجود سوق اللاتينية أي إعادة إنتاج مستهلكين للغة اللاتينية بواسطة النظام التعليمي. (بيار بورديو، 1980، ص.143).

يقول بورديو: "إن رأس المال اللغوي هو رأس مال جسدي، وتمثل اللغة بعدا مهما في تعلم مهارات الجسد، إن اللغة هي تقنية جسدية، والكفاءة اللغوية Linguistico compétence خاصة المهارات الصوتية Phonetic تعد بعدا مهما في عادات الجسد، حيث يعبّر المرء من خلالها عن علاقته الكلية بالعالم الاجتماعي. إن هذا يعني أن عادات الجسد التي تعد إحدى السمات الطبقية تنتج تفاوت منتظما في الجانب الصوتي، ويعد ذلك التفاوت أحد الأبعاد المهمة في التمايز بين الطبقات." (P. Bourdieu, 1997, p.660)

نستنتج أن بورديو قدم الرأسمال اللغوي على أساس أنه أرباح لغوية، فثمة علاقة تبعية شديدة الوضوح بين آليات السيطرة السياسية وآليات تكوين الأثمان اللغوية المميزة لوضع اجتماعي معين وركز بورديو على النمو المعرفي اللغوي كمكون ثقافي يتصل بالمستوى الثقافي وهذا يدل أنه جزء من الرأسمالي الثقافي وله علاقة بباقي الأنماط الأخرى من الرأسمال الرمزي.

3.2. المفاهيم المرتبطة بالرأسمال اللغوي:

1.3.2. السوق اللغوية:

يتصل مفهوم السوق اللغوية بمفهوم الرأسمال اللغوي الذي يعوض بوجه من وجوه الكفاءة اللغوية، وهو ما يعني وجود أرباح لغوية، وعليه فيمكن للغة أن تقوم بالوظيفة التي يعتبرونها اللغويون محايثة لها، أي الوظيفة التواصلية دون أن تتوقف عن القيام بوظيفتها الحقيقية، أي الوظيفة الإجتماعية، ويمكن التعبير عن السوق اللغوية بالمعادلة التالية:

"هابتوس لغوي + سوق لغوي = خطاب لغوي"، فبورديو يقرّ على وجود قانون في علم اللغة الاجتماعي، إذ أن اللغة المستعملة في موقف معين لا تعتمد على قدرة المتكلم بالمعنى، بل تعتمد على السوق اللغوية، وكل موقف لغوي يعمل بوصفه سوق تجاري فيها مبادلة الكلمات، وهذه الكلمات لم تصنع لتفهم فحسب، وإنما لتكشف عن علاقة اقتصادية تخضع للتقييم، أي تقييم وتقدير قيمة المتكلم، هل تكلم بطريقة حسنة أم سيئة، هل هو متألق أم لا... (Bourdieu, 2001, p.77)

وتتميز السوق اللغوية من الناحية العيانية: أنها تظهر في وضع اجتماعي رسمي طقسي "من الطقوس Rituel" فمجموعة معينة من المتحدثين يكونون على هذه الدرجة من التراتبية الاجتماعية، بالإضافة إلى الكثير من الخصائص التي تدرك وتقدّر دون مستوى الوعي، وهي التي توجه الإنتاج اللغوي بطريقة غير واعية، أما من ناحية التعريف المجرد: إنها نوع من القوانين التي تحكم ثمن المنتجات اللغوية، مع التذكير بأن هناك قوانين لتكوين الثمن، وأن قيمة قدرة معينة تعتمد على السوق المعينة التي تعمل فيها تلك القدرة أو بدقة أكبر على حالة العلاقات التي تتحدد فيها القيمة المنسوبة إلى النتاج اللغوي للمنتجين. (P. Bourdieu, 2001, p.101)

وهكذا، فإننا توصلنا أن قيمة الفرد وتميزه دليل على بنية السوق اللغوية، فهي محصلة إنتاج الفرد المتكلم خطابا متميزا أسلوبيا في موقف معين، مثلا ترتبط قيمة الرأس المال اللغوي الذي اكتسبه المدير في السوق المدرسي، وبالتالي ينتج خطاب يوجهه لمتلقين قادرين على تقييمه وتقديره.

2.3.2. الكفاءة اللغوية (Linguistico competence) :

إن اللغة ليست مجرد أصوات، إنما القدرة على ربط الأصوات اللغوية والمعاني التي يؤديها الفرد، وبتعبير آخر فإن الكفاءة اللغوية هي التي تسمح للمتكلم بفهم وإنتاج عدد لامتناهي من الجمل الجديدة، وذلك للتعبير عن الأفكار والدلالات، كما تسمح للفرد بالتمييز بين الجمل من حيث صحتها، مما يستدعي إحاطة السامع والمتكلم بأنظمة اللغة ومستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية.

وفي هذا السياق أشار تشومسكي Chomsky أن الكفاءة اللغوية: هي قدرة المتكلم المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته (نور الهدى، 2000، ص.337) ويشير أيضا إلى أن استخدام الفرد اللغة في مواقف حقيقية يتطلب الكفاية اللغوية والتي تمثل البنية العميقة للكلام وحجته في ذلك أن الإنسان أثناء ولادته يكون مبرمجا على اللغة، كون هناك فطرة لغوية يشترك فيها جميع البشر، وتنمو بواسطة ما يكتسبه الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه، هذا الاكتساب يمنحه القدرة على توليد الجمل ضمن قواعد وقوانين. (نور الهدى، 2000، ص.338). وبالتالي تشومسكي أعطى اهتمام بقضية تعلم اللغة واكتسابها فهو يتعامل مع اللغة على أنها أداة للتواصل الاجتماعي، ومنه دعت الحاجة إلى البحث عن نظرية أخرى تأخذ بعين الاعتبار استخدام اللغة في المجتمع والبحث عن القواعد القدرة على التواصل، فظهر ما يسمى بالكفاءة التواصلية التي دعا إليها اللساني الاجتماعي الأمريكي ديل هايمز Dell hymes

3.3.2. الكفاءة التواصلية (التواصل اللغوي):

إن اللغة نظام من الرموز، تستعمل لتحقيق التواصل فهي أداة اجتماعية للتواصل أو هي كما قال "سابير" Sapir وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية لإيصال الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إدارية (حاجي، 2002، ص.03)، فالسؤال المطروح متى يتحقق مستوى التواصل اللغوي؟ وهذا ما أكده تشومسكي في نظريته اللغوية عندما اعتبر أن كلما كان للأداء اللغوي صحيحا ويحقق للتواصل الاجتماعي، كان دالا على تحقق الكفاءة اللغوية، ويقترب مفهوم الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي من مفهوم الملكة والقدرة ويعلق "روبرت إي ويدرز" Robert E. Withers أن اللغة تتطور ضمن سياقات ثقافية واجتماعية وتاريخية محددة وأن

الاستخدام الفعّال للغة في التواصل يتطلب فهما واسعا للتفاعل الإنساني ويبقى الكلام هو الأداة المركزية للتواصل (روبرت، 2010، ص.40).

3. تحديد بعض الخصائص للقائد التربوي:

1.3. مفهوم الهابيتوس Habitus :

لمصطلح الهابيتوس دلالتان: الاتساق والتميز وتعني بالاتساق أن السمة تصف الانتظام في سلوك الشخص حيث يبدوا أن الشخص مستعدا للتصرف بطريقة تمكننا من وصفه بمصطلح السمة، وفي الواقع ترجع السمات إلى التفضيلات أو الأبنية المنظمة حتى نأخذ فكرة بأن الشخص مستعدا فطريا للتصرف بطريقة معينة، وفكرة التفضيلات تلقي الضوء على حقيقة مهمة بأن مصطلح السمات هو كما استخدمه منظرو السمة للشخصية. (بارفان، 2017، ص.315)

وعرفها زهران: على أنها الصفة الجسمية أو العقلية أو الانفعالية أو الاجتماعية أو الفطرية أو المكتسبة التي يتميز بها الشخص وتعبر عن استعداد الثابت نسبيا لنوع معين من السلوك. (زهران حامد عبد السلام، 1988، ص.123)

إلا أن الباحث الفرنسي "بيار بورديو" Pierre Bourdieu تعمق في هذا المفهوم إلى حد إعطائه بنيانا نظريا متكاملا في الحقل السوسيولوجي فالسمة في الترجمة الإنجليزية Habitus كما هي في النص الفرنسي الأصلي، والكلمة اسم لاتيني مذكر معناه بالفرنسية Manière d'être أي طريق الحياة والكلمة في الفرنسية تعني العادة. ويترجم هذا المصطلح في اللغة العربية بلفظ التطبع أو السجية أو السمة، ولعل اللفظ الأخير أقرب لأداء المعنى المطلوب، من حيث إنه يدل أصلا على الهيئة/ الحال (التي تعني المظهر الخارجي) وهو يتقرب من مدلول لفظة اللباس (Habit) الذي يرتدى. فإن مصطلح التطبَع أو السمة، كما يوظفه بيير بورديو يتضمن الطريقة في الوجود وتمثل الأشياء (أو التلازم) بين ظاهر الأشياء وباطنها. (أبو بكر، 2006، ص. 282)

لقد أراد بورديو من خلال صياغة هذا المفهوم أن يعرفه بالطريقة التالية: "جملة الاشتراطات الملازمة لطبقة معينة في ظروف الوجود تنتج ملكات ومنظومات من الاستعدادات الدائمة والقابلة للتوريث فهي بنى مهيكلة ومؤطرة بمعنى تشتغل كمبادئ، مولدة ومنظمة لممارسات ولتمثلات يمكن موضوعيا أن تكيف وفقا لأهداف دون افتراض الغاية الواعية لهذه الأهداف ولا التحكم الصريح في

العمليات للوصول إليها، فهي معقدة ومنظمة بصفة موضوعية دون أن تكون في ذلك إنتاجا للإنصياغ لقواعد وبذلك فهي مسيرة بصفة جماعية دون أن تكون إنتاجا للفعل المنظم للفاعل. (Bourdieu, 1980, p.88)

2.3. مفهوم القيادة:

القيادة فن يكتسب وينمي ويمارس بدرجات مختلفة من قبل أي شخص مؤهل لتحقيق غاية أو تنفيذ مهمة معينة، وباستطاعة أي شخص يكتسب فن القيادة وينميها بدرجات، إذا وجه بصورة صحيحة، وكان يتمتع بالإمكانيات العقلية والبدنية الضرورية، وبذلك تتأثر مقدرة الفرد على القيادة برغبته في الدراسة والتمرين والتطبيق لأساليب القيادة الصحيحة (عمر حسن، 2005، ص.300).

وورد تعريف آخر بأنها سلوك يقوم به القائد للمساعدة على بلوغ أهداف الجماعة وتحريكها نحو هذه الأهداف وتحسين هذا التفاعل الاجتماعي بين الأعضاء والحفاظ على تماسك الجماعة وتيسير المواد للجماعة. (رضوان شفيق، 1994، ص.25)

ويعرفها كل من Torrypage and J. B. القيادة على أنها عملية إنجاز عمل ما في طريق التأكد من أن أفراد الجماعة يعملون معا بطريقة طيبة وأن كل فرد منهم يؤدي دوره بكفاءة عالية، أمّا أورداواي تيد Ordwaytead عرفها بأنها النشاط الذي يمارسه شخص للتأثير في الناس وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون في تحقيقه. (Tead, 1963, p.19)

وعليه يوجد تعدد في وجهات النظر حول معنى القيادة وذلك تبعا لاتجاهات العلماء ورغم اختلاف النظرة إلّا أنّ القيادة هي مجموعة من السمات والمهارات التي يمتاز بها القائد، أو هي مجموعة السمات والمهارات اللازمة للقيام بوظائف القيادة وتعني في مجملها بأنها عملية تأثير وتوجيه الأفراد للوصول إلى تحقيق أهداف معينة.

3.3. السمات الثقافية واللغوية لمدير المدرسة (كقائد تربوي):

هناك مجموعة من السمات يتحدث عنها الباحثون في الإدارة المدرسية ويرون أنها ضرورة متلازمة لمدير المدرسة، ولا مناص له عن امتلاكها حتى يتمكن من القيام بمسؤولياته على وجه سليم وصحيح وفعال كما أن المهارات القيادية تعتبر مكملة للسمات والقدرات الذاتية اللازمة للقيادة، إذ هي جميعا من السمات المشتركة للقادة الناجحين:

- للقائد التربوي أدوار مختلفة ومتغيرة ولكنها جميعا متكاملة ومتداخلة فلا بد أن يمتلك مواصفات خاصة تجعله يتماشى مع الأدوار.

- أن يمتلك مدير المدرسة خلفية ثقافية واجتماعية تمكنه من فهم الأنظمة الإجتماعية المحلية وتساعده في أداء الدور القيادي داخل المجتمع المحلي.

- أن تكون لمدير المدرسة خلفية قوية بالعلوم الإجتماعية لفهم المدرسة والمجتمع المدرسي كنظم اجتماعية، وبصفة خاصة علم الاجتماع التربوي وعلم الاجتماع التنظيمي.

- أن تكون له طلاقة لغوية لفظية وما يرتبط به من سلامة السمع والنطق، فذلك يؤثر في التفاعل مع الآخرين، وفي إيصال المعلومات والتعليمات.

- أن يمتلك عقلية علمية موضوعية أي "يتطلع إلى قدر كبير من التميز والاحترام بين الجميع خلفية تربوية غنية تمكنه من تطوير فلسفة تربوية تهيء له الدور القيادي وخاصة بين أبناء المهنة من أعضاء هيئة التدريس". (محمد عبد القادر، 2005، ص.96)

- يكون لديه مستوى تعليمي مناسب للمرحلة التعليمية التي يعمل بها، يعني أن تتوفر فيه مهارات علمية وفنية ويمتلك شهادة توضح نجاحه في عدد من المسارات التربوية مرتبطة بالإدارة والتعليم.

وفي ضوء بعض السمات السالفة الذكر والتي تحدد معالم هوية القائد التربوي، يشير Kats إلى مجموعة أخرى من السمات اللاّزمة لمدير المدرسة كالخصائص الجسمية والعقلية والانفعالية والتي تحدد معالم شخصيته، مما تمكنه من ممارسة عمله والقيام بمسؤولياته، كما يرى أن هذا النوع من السمات الذاتية (الشخصية) تعتمد أساسا على استعدادات فطرية لدى المدير تتفاعل مع مؤثرات بيئية مختلفة كالأسرة، حياة الطفولة، الرفاق والبيئة المحلية. (محمد عبد القادر، 2005، ص.91)

4.3. خصائص القائد التربوي:

للقائد التربوي أدوار مختلفة ومتغيرة ولكنها جميعا متكاملة ومتداخلة، فهو يتجلى بمواصفات خاصة تجعله يتماشى مع هذه الأدوار جميعا، فمن صفات القائد التربوي:

- **التفوق الأكاديمي والمعرفي:** وأن تتوفر لدى القائد المهارات العلمية والفنية اللازمة، ويكون على علم تام بجميع النواحي الفنية التي يشرف عليها مثل: تحليل الموافق واستنباط النتائج المحتملة.
- **الكفاءة:** كالطلاقة اللغوية، المرونة، القدرة على فهم المشكلات وطرح الحلول القدرة على التعامل مع مقتضيات التغير، القدرة على التعامل مع الأزمات والطوارئ، القدرة على التحليل والاستبصار، القدرة على التواصل مع أفراد المجتمع المدرسي.
- **الخصائص الشخصية:** تؤكد نظرية السمات على ضرورة توفر عدد من الصفات كتحمل المسؤولية، القدرة على اتخاذ القرارات، الحماس للعمل، التواضع حسن المظهر، والسمعة الطيبة، والثقة في الذات والمحافظة على وقت الجماعة، منظم ولا يميل للفوضى، والتمتع بعادات شخصية حسنة مع قوة العزيمة والإرادة والمثابرة والطموح.
- **الخصائص الجسدية:** يرى بورديو أن الجسدية يمثل جانبا مهما من رأس المال الطبيعي (Physical) ويتم إنتاجه اجتماعيا وفق هابتوس معين وذلك كأن يكون القائد أميل لطول القامة، القوة العضوية، قوة العضلات، ثقل الوزن، والنشاط والحركة وكذلك سلامة الجسم والبدن والخلو من العاهات.
- **الخصائص الخلقية:** مثل الأمانة والإخلاص، العدل والابتعاد عن التحيز والشكلية والاستقامة والصدق، القدوة الحسنة، يعطي الفضل لصاحبه.
- **الخصائص الإجتماعية:** "وتشمل القدرة على العلاقات والتفاعل وتحقيق التعاون مع الآخرين، والمشاركة الإجتماعية في أنشطة الجماعة، وتكوين العلاقات والشعور بأحاسيس الجماعة ومشكلاتها والتواضع في التعامل مع أعضاء الجماعة وإمكانية التأثير في الأتباع، وتحفيز الأفراد ذوي الأداء المتوسط إلى الأداء المرتفع". (عبد العزيز، 2007، ص.ص.332-333) .

وعلى الرغم من أهمية توفر السمات أو الخصائص التي تميز القادة الفاعلين لقيادة نموذجية تركز على تحسين المخرجات التعليمية، إلا أن بعض العلماء حتى الآن لم يتفقوا على تحديد عدد السمات بصفة دقيقة.

خاتمة:

إنّ جوهر الرأسمال الثقافي واللغوي هو أنّه يقدّم مجموعة من الثروات الرمزية للقائد التربوي والتي تساهم في تسيير مؤسسته، فممارسة الإدارة المدرسية تتطلب من القائد مهارات ثقافية ولغوية دقيقة يتّميز بها، إذ من خلال امتلاكه هذه الرساميل تحدد المدرسة وجهتها وثقافتها التدريسية.

وعليه فنجاح القائد التربوي في الحقل التعليمي مرتبط بامتلاكه للرأسمال الثقافي واللغوي أي بمعنى أن يكون مثقفا ولديه إتقان جيدّ للغة والبلاغة، وأن يرث أشياء مادية متعلقة بالثقافة: كتب، معاجم، لوحات فنية...كلها تساهم في تطوير مؤسسته.

وفي الأخير ينتهي كل رأسمال يمتلكه المدير إلى تحقيق سلطة رمزية ومكانة اجتماعية ومن جانب آخر إلى اعتراف المجتمع ومكافأته عبر ألقاب علمية أو ترقية وظيفية أو سمعة جيدة.

وهكذا يعمل الرأسمال الثقافي واللغوي كجهاز اختياري أو انتقائي للفرد (المدير) المناسب للقيام بمهامه ومسؤولياته في المجال المدرسي، وبالتالي يصبح بذلك يملك سلطة مشروعة فعالة لقيادة مؤسسته التربوية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ديفيد، سوارتز، (2014)، الثقافة والقوة علم الاجتماع، (ط2)، ت: الجوهري، المجلد الثاني، المركز القومي للترجمة، مصر.
2. جاسم، أفراح وحميد، سعد محمد علي، (2014)، الهابتوس وأشكال رأس المال في فكر بييربورديو، مجلة الأستاذ، المجلد2.
3. عثمان، إبراهيم، (1999)، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان.
4. انتوني غدنز، (2005)، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ،(ط4)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
5. محمد يسرى دعيس، (1997)، علم الأنسان وقضايا المجتمع، الكتاب التاسع، دراسات في الأنثروبولوجيا.
6. ستيوارت هول، (2008)، حول الهوية الثقافية، ت: بول طير، المجلة العربية لعلم الاجتماع.
7. محمد عاطف غيث، (1979)، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
8. بيير بورديو، (1990)، أسئلة علم الاجتماع ، ت: إبراهيم فتحي،(ط1) ، دار العالم الثالث، القاهرة.
9. دانيال سارفون، لورنس بارفان، (2017)، علم النفس الشخصية،،ت: جلال كايد، (ط1) ، دار الفكر ناشرون، الأردن.
10. زهران حامد عبد السلام، (1988)، علم النفس الاجتماعي،(ط5) ،عالم الكتب، القاهرة،.
11. أبو بكر بوفليسة، (2006)، مفاتيح وأعلام في علوم المجتمع والإنسان، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر.
12. رضوان شفيق، (1994)، السلوكية والإدارة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
13. محمد عبد القادر عابدين، (2005)، الإدارة المدرسة الحديثة، (ط1)، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.
14. نور الهدى لوشن، (2000)، مبحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية.

15. روبرت آي، (2010)، مقدمة في التطوير اللغوي، ت: مصطفى محمد قاسم، (ط1) ،دار الفكر، عمان،
16. عبد العزيز عطا الله المعايطة، (2007)، الإدارة المدرسية في ضوء الفكر الإداري المعاصر، (ط1)، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان،
17. Sullivan, Alice, (2000), Cultural capital and educational attainment, Sociology, Vol 35.
18. Alan R. Sadovnik & Peter W. Cookson Jr & Susan F. Semel, (2006). Exploring Education: An Introduction to the Foundations of Educa-tion, London, Routledge.
19. Swartz, D. L. & Zolberg, V. L. (2005). Introduction: Drawing inspiration from bourdieu, Quoted in, David L. Swartz and Veral L. Zolberg, (ed), "After Bourdieu Influence, Critique, Elaboration", Netherlands, Kluwer Academic Publishers.
20. Bourdieu, Pierre. (2006). The Forms of Capital. In Education, Globalisation and Social Change, H. Lauder, P. Brown, J. A. Dillabough & A. H. Halsey, (ed) , Oxford: Oxford University Press.
21. Philipp, H. (2008). CulturalCapital, in William A. Darity International En-cyclopedia of The Social Science, 2 nded, Newyork, Macmillan Reference, USA.
22. George ritzer, (2005), Eneulopin of socail theory, Vol1, Sage publication London.
23. Non lin, (2000), Inequality In Social capital contemporary sociology, Vol 29.
24. Bourdieu, Pierre, (2001), Langage et pouvoir Symbolique, Paris, seuil.
25. Bourdieu, Pierre, (1980), Le sens pratique, Paris, minuit.
26. Tead. O, (1983), The art of leadership, H C. Graw New york.
27. Saracence Chiara, (2014), Do We need Capital accounts for culture generational and inter-generational suctiona bility, Rome.